كن ذا أثر

الحمد لله البر الرحيم، العليم الحكيم، خلق الإنسان فكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله، منزه عن كل نقص، منزه عن الشريك والولد، وأشهد بأن سيد الخلق، وأكرم الخلق، سيدنا وشفيعنا ومولانا الهادي البشير والسراج المنير سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله الأبرار الأطهار وبعد؛؛

أولا: اهتمام الشريعة ببناء الإنسان

لقد أولت الشريعة الإسلامية الإنسان عناية فائقة، إذ أنه محور الكون، والعنصر الرئيس في البناء الحضاري، يقول الحق ﷻ: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا(الإسراء70) فالتكريم هنا من منطلق الطاعة، والخضوع لله سبحانه، وإن كان اللفظ جاء بالعموم ولكن يراد به الخصوص وهم طائفة المؤمنين الموحدين بالله سبحانه.

والشريعة لكي تبني الإنسان، جعلت التمسك بكل فضيلة، والتخلي عن كل رزيلة، سبيل الوصول، لله وللرسول، فهو إعادة بناء الإنسان، وربطه بمولاه في كل فكر، وقول، وعمل، ونية، وفي كل موقع من مواقع الإنسانية في الحياة العامة. فكان لسان حاله:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ 162 لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ 163﴾ [الأنعام: 162-163]

وهناك أصول وثوابت لبناء الإنسان تتلخص في (التقوى – العلم والمعرفة – الأخلاق)

أما التقوى فهي الخوف من الله سبحانه، ومراقبته في كل قول وعمل وفعل، والعمل بكتابه وفهم نصوصه، والعمل بأحاديث نبيه ﷺ والرضا بقضاء الله وقدره، والاستعداد للقائه سبحانه.

وقد بين سبحانه أن المعيار للإنسان يتحدد بعلاقته مع ربه أولا: قال تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... فمن أراد كرامة الله عزَّ وجلَّ فليتَّقِه، فإنه ينال بالتقوى كرامته،

والدخول إلى جنته، ويسكن في جواره، ويفوز فوزاً عظيماً، وقد ورد في الاثر : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنِ اهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ (ابن أبي الدنيا)

وعن سيدنا رسول الله ﷺ قال: " اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " رواه الترمذي

يقول ﷻ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13] فَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ فَضْلٌ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَبْيَضٍ وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى فالتقوى هي التحرّر من النفس وأطماعها وحظوظها. فأكرم العباد عند الله من كان أبعد عن نفسه وأقرب إلى الله تعالى.

ويقول الحبيب إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباءِ ، مؤمنٌ تقيٌّ ، وفاجرٌ شقيٌّ ، أنتم بنو آدمَ ، وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ ، إنما هم فحمٌ من فحْمِ جهنمَ ، أو لَيكونُنَّ أهونَ على اللهِ من الجِعْلَانِ التي تدفعُ بأنفِها النَّتِنَ . (الترمذي وغيره)

فالأصل هو التقوى لا القرب ولا الحسب ولا النسب ولا العصبية ألم يأتك أن سيدنا رسول الله - ﷺ - ألحق به سيدنا سلمان الفارسي، فقال: " سلمان منا أهل البيت " - ألم يرسل الله رسوله للناس كافة بشيراً ونذيراً؟!

اهتمام النبي ﷺ بالنشء

إن النشء هم غلمان اليوم رجال المستقبل، لذا حرص النبي ﷺ على الاهتمام بالنشء وحرص على تربيتهم التربية السليمة القويمة، ذلك أن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ، ولذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرص على تعليم الصغار في اشارات لبناء الشخصية وبناء الأمة فهذا عبد الله بن العباس حبر الأمة الذى دعا له سيدنا رسول الله ﷺ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ابْنَةِ الْحَارِثِ فَوَضَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم طَهُورَهُ فَقَالَ: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟»، فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ» (أحمد بسند صحيح)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ (مسند أحمد)

ففي هذا الحديث يعلمنا رسول الله ﷺ أن العبد إذا حفظ شرع الله في قلبه وعرف ربه وقدره حق قدره تجده أمامك يكلؤك ويرعاك، ويحفظك بعين رعايته، قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ... تعرف لله في الرخاء يعرفك في الشدة، وأجعل لمرضك من صحتك نصيبا ولموتك من حياتك ذخرا، احفظ الله أي احفظ لسانك وجوارحك لا تسأل إلا الله ولا تستعن إلا بالله واعلَم أنَّ ما أصابَكَ لم يكُن ليُخطِئَك وما أخطأكَ لم يكُن ليُصيبَكَ، وأن النصر مع الصبر، استعن بالله ولا تعجز، وتوكل على الله حسن التوكل، أن تحسن بينك وبين الله وأن تأخذ بالأسباب فيفتح الله لك الأبواب المغلقة.

بهذا الأخلاق تكونت الشخصية الإسلامية بالمراقبة في السر والعلن، بتقوى الله وخشيته، بحفظ العبد لجوارحه وحسن توكله على الله واستعانته بالله فيسر الله له وفتح الله على المسلمين المغاليق في العلم وفي الدنيا فسادوا بأخلاقهم لا بكثرتهم، نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزَّة في غيره أذلَّنا الله.

عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ وهو عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال، «أبو حفص»، ويعرف بأنه ربيب النبي ﷺ، حيث إنه نشأ في بيت النبوة بعد أن تزوج النبي ﷺ من أمه السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها. حرص النبي ﷺ على تربية عمر بن أبي سلمة وتهذيبه، يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ

اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ (صحيح البخاري) وفي هذا الحديث كذلك ارشادات لبناء شخصية المسلم منها التيمن عملا بسنة سيدنا رسول الله ﷺ ومنها التسمية فكل عمل لا يبدأ بسم الله أبتر مقطوع منزوع البركة، وهكذا نرى أن النبي ﷺ يعلم الأمة في شخص عمر بن أبي سلمة أسس بناء الشخصية السوية، في احترام المجلس والرضا بما قدر الله وقسم، ومداومة ذكر الله في السر والعلن.

العلم أساس بناء الشخصية المسلمة السوية:

أول فرض نزل على قلب سيدنا رسول الله ﷺ أقرأ وقيل أن أول ما أنزل الله من القرآن ن والقلم وما يسطرون، كما ورد في الحديث " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ "(المسند والسنن بسند صحيح)

ولله در سيدنا الإمام على رضي الله عنه لما قال ما الفخر إلا لأهل العلم ...

فالعلم هو الأساس لمعرفة الله لن تعرف الله بدون علم، وفرق بين العالم والعابد كفرق النبي ﷺ على أدنى أمته، وفرق بين عبادة بعلم وعبادة بجهل، فمن يعبد الله على علم عرف مقداره ومكانته، والعلماء أكثر الناس خشية لله إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ.. وقد رضي الله بالعلماء شهودا له على وحدانيته قال سبحانه: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ولذا كان من عمل النبي ﷺ في بدر أن جعل من لا فداء له ويعلم القراءة والكتابة لعشرة من المسلمين، لنشر العلم والفكر والثقافة، ولحاجة الأمة لمدونين وكتاب للوحي وحديث سيدنا رسول الله ﷺ ولذا حرص النبي ﷺ وصحبه على العلوم وتعليمه وخصوصا علوم القرآن لما فيه من تعاليم تبني الإنسان وتقومه وتهديه طرق النجاة.

وكان من تعاليم سيدنا رسول الله لصحابته ولأمته: «علّموا أولادكمُ الصلاةَ إذا بلغوا سبعَ سنين، واضربوهم إذا بلغوا عشراً، وفرّقوا بينهم في المضاجع». (البزار وغيره)

فالصلاة صلة وتأديب للنفس ولذا حرص النبي ﷺ على تأسيس الفرد الصالح لتكوين مجتمع صالح، يكون ذكر الله ومراقبته في سره وعلنه، وتكون صلاته عنوانه ينشأ عليه، ليتربى على توطيد الصلة والعلاقة بينه وبين ربه وَإِذَا كَانَتْ صِلَةً فَمِنْ شَأْنِهَا كَثْرَةُ التَّوَاضُعِ وَتَمْرِيغُ الْوَجْهِ عَلَى الْأَرْضِ وَالتُّرَابِ

ولذا يقول ابن عمر رضي الله عنه: «أدّب ابنك فإنك مسؤول عن ولدك ما علَّمته، وهو مسؤول عن برِّك وطاعته لك». ويقول أهل التفسير في قول الله تعالى: {قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً} (التحريم: 6) علّموهم وأدّبوهم.

وقد ساد الصحابة والتابعين بالعلم والأدب لم يفرقوا بين أعجمي ولا عربي ولا أبيض وأسود فهل كان البخاري عربي أو كان الإمام مسلم عربي؟ أو الترمذي أو النسائي كابن سينا وجابر بن حيان والخوارزمي والحسن بن الهيثم والفارابي والبيروني وغيرهم.

هل كان الظاهر بيبرس المغولي الأصل الذى هزم جند المغول والتتار مع المظفر قطز عربي الأصل؟! هل كان الأمير جنكلي بن البابا صاحب درب ابن البابا والذى قدم مصر مع الالف المؤلفة من المغول والتتار الأوراد إلى مصر وسكنوا الحسينية وأرض اللوق وعمر الصاحب بن بهاء وهو تركي الأصل رباطا خاصا بسيدنا رسول ﷺ به بعض الآثار الشريفة لسيدنا رسول الله ﷺ ويعرف الآن بأثر النبي في مصر القديمة هل كان عربيا؟

هل كانت أسرة قلاوون التي ملأت الدنيا فكرا وعلما وفنا وعمارة وردت غارات الصليبين والتتار عربا.

إن قيمة الإنسان في الشريعة الإسلامية أعلى من اعتبارات اللون والجنس بل والدين فكم من ذمي أفاد الحضارة الإسلامية واحتضنته الشريعة دون تفريق بسبب لونه أو جنسه أو دينه فالناس كلهم بنو أدم وخلق الله آدم من تراب

الأخلاق

كانت رسالة النبي ﷺ بالأخلاق كما قال النبي ﷺ (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (البخاري الأدب المفرد والحاكم في المستدرك) ويقول النبي ﷺ إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مني مجلساً أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوَطَّئُونَ

أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ فالأخلاق أهم عنصر من عناصر تكوين الإنسان وإنسان بلا خلق كجسد بلا روح،

وصدق شوقي إذ يقول: إنما الأمم الأخلاق ما بقيت...فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا..

وقال في موضع آخر:

صلاحُ أمْرِكَ للأخلاقِ مَرْجِعُهُ ... فقَوِّمِ النفسَ بالأخلاقِ تَسْتَقِمِ

والنفْسُ مِن خيْرِها في خيرِ عافيةٍ ... والنفسُ من شرِّها في مَرْتَعٍ وَخِمِ وقال غيره:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم؟

تصف الدواء لذي السقام من الضنى ... ومن الضنى تمسي وأنت سقيم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت ذميم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

هناك يقبل ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

من وصايا سيدنا الإمام الشافعي رضي الله عنه يا غلام اعلم أن من صدق الله نجا، من أشفق على دينه سلم من الرّدى، ومن زهد في الدنيا قرّت عيناه فيما يرى من ثواب الله غدا. أ فلا أزيدك؟ قلت: بلى. قال: كن في الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا، واصدق الله في جميع امورك تنج بها مع الناجين يوم الموعدا . أقبِلْ على النفسِ واستكمِلْ فضائلَها .. فأنتَ بالنفس لا بالجسمِ إنسانُ

كن ذا أثر وأجعل من يراك يدعو لمن رباك

إن أهم ما يتركه الإنسان بعد رحلته في الدنيا، أن يترك أثره، والإنسان سيرة، إما أن تكون حسنة، وإما إن تكون سيئة، إما يذكره الناس بالخير وبالرحمة، وإما أن تنهال عليه اللعنات، أو حتى يكف الناس عن ذكره!

وفي الحديث الجامع الماتع عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»

(ابن أبي الدنيا) وهذا حديث جامع يبين الطريق ويرسم المعالم، يوضح فيه الحبيب ﷺ أن الإنسان وإن انقطع أجله، وفنى عمره لا ينقطع عمله، وتظل أعماله تشهد له، إما بالخير وإما بالسوء، فمن الأعمال التي بينها سيدنا رسول الله ﷺ ويبقى أثرها بعد ممات العبد الصالح:

الصدقة الجارية: وقد ذكرها العلماء بصور شتى، ووجوه مختلفة، منها ومن أهمها أن الوقف على وجوه الخير، كأن يوقف قطعة من الأرض، أو ما شابه ذلك من عقار أو تراث على طلاب العلم مثلا، أو على حفظة كتاب الله، أو على النفقة على الغارمين وأبناء السبيل، وغيرها من الوجوه المعروفة، المقررة شرعا.

ولعل الصدقة من أفضل الألوان: ولذا تقدم بها وقدمها سيد الأنام، فربما من خلال تلك الصدقة أصاب الولد الصالح، كأن يترك وقفا يتزوج منه زوجان صالحان، أو العديد منهم فينجبون الولد الصالح الذى يدعو للآباء ويدعو لصاحب الوقف!

وربما من خلال الوقف على الكتب والمكتبات وطلاب العلم، خرج بسبب هذا الوقف العديد من العلماء، فتركوا وخلفوا علما نافعا يعود أثره عليهم وعلى صاحب الوقف لأنه كان سببا من أسباب نشر هذا العلم وظهوره وبيانه!

ولذا مما أثر عن سيدنا جابر رضي الله عنه أنه ما بقي أحد من صحابة سيدنا رسول الله ﷺ يقدر على الوقف إلا وأوقف بعض ماله في وجوه الخير، ولعل أشهر الأوقاف بئر رومة الذى أوقفه الحيي الكريم سيدنا عثمان رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الفردوس مقره وسكناه!

الوصية الثانية التي أوصى بها سيدنا رسول الله ﷺ العلم النافع:

وهو كل علم ينفع الناس في أمور دينهم ودنياهم، وييسر سبل معايشهم، وينفع صاحبه في قبره وبعد مماته، فكل علم يبتغى به وجه الله، ولا يحل حراما أو يحرم حلالا فهو علم نافع، علوم الزراعة والأرض والغرس والنبات علوم نافعة، بل من آجل العلوم، علوم الطب والفلك والهندسة، وعمارة الأرض وتشييد البيوت، وعلوم التاريخ والجغرافيا، والجيولوجيا، وعلوم الفيزياء والحركة، والكيمياء وكذا علوم الكتاب والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، وعلوم اللغة والعقيدة، وغيرها من العلوم والفنون،

فكل من صنف مصنفا نافعا منضبطا، لا فيه غلو ولا شطط، يبصر الناس بأمر دينهم ودنياهم، وكل من ترك مؤلفا، في بحث أو دراسة أو رسالة أو تحفيظ الأطفال كتاب الله، أو خطبة صوتية ينتفع منها فكل هذا من قبيل العلم النافع

وقد بين العلماء أن العلم النافع: يدلّ صاحبه على التّواضع، ودوام المجاهدة، ورعاية السّرّ ومراقبة الظّاهر، والخوف من الله، والإعراض عن الدّنيا وعن طالبيها، والتّقلّل منها ومجانبة أبواب أربابها، وترك ما فيها على من فيها من أهلها، والنّصيحة للخلق، وحسن الخلق معهم، ومجالسة الفقراء، وتعظيم أولياء الله، والإقبال على ما يعنيه.

أو ولد صالح يدعو له: وهذا أصل عظيم، وركن ركين، وأعلم أيها الحبيب أن صلاح الولد من صلاح الوالد، ولا يستقيم الظل والعود أعوج!

فمن علم ما يحصل له في غد، سهل وهان عليه ما يبذل، ومن استقامت نفسه استقام به غيره، من ليس صالحاً في نفسه فكيف يصلح غيره؟!

والله أمرنا بإصلاح أنفسنا أولا، ثم صلاح الزوجة لأنها ظل الرجل، ثم صلاح الولد، أما صلاح النفس قال ﷻ ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: 44] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ 18﴾ [الحشر: 18] أما صلاح الأهل والولد فقال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ 18﴾ [الحشر: 18] وقد رأينا كما حكى القرآن كيف أن صلاح الوالد يصون الولد، فقد حكى القرآن عن كنز اليتمين، كيف أن الله حفظه وصانه ورعاه قال ﷻ ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: 82] فصلاح الأبوين ينفع الغلامين، فيُسخِّر الله لهما مَنْ يبني لهما الجدار، ويحافظ لهما على كنزهما حتى يكبرا، ويستطيعا حمايته، ولما كان صلاح الوالد وفساده يمتد لولده فقد قال الحق ﷻ: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ [النساء:

9] فالكرامة ليس لهما وإن ظهرت عليهما، وإنما لأبيهما، لأنه كان مستحقاً ، لأن يتولاه ربه ويحفظ ما يرتبط به من أموره ، فالتكريم له لا لهما!

ولذا إن أردت ولد صالحا يدعو لك، فأصلح ما بينك وبين الله، وعلمه الأدب، وقومه، فالولد ظل أبيه

ولله در الشاعر حيث يقول:

مَشَى الطاووسُ يوماً باعْوجاجٍ ... فقلدَ شكلَ مَشيتهِ بنوهُ.

- فقالَ علامَ تختالونَ؟ فقالوا: ... بدأْتَ به ونحنُ مقلِدوهُ.

- فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ ... فإنا ... إن عدلْتَ معدلوه.

- أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ ... يجاري بالخُطى من أدبوه؟.

- وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا ... على ما كان عوَّدَه أبوه.

نسأل الله أن يحفظ أولادنا وبلادنا من كل مكروه وسوء

جمعه ورتبه الفقير لعفو مولاه د محمد سالم الصعيدي الشافعي الأزهري

الأستاذ المشارك بجامعة الأزهر الأنور